Turkiye Diyanet Vakfı
Kütüphanesi
İslâm Araştırmaları Merkezi

غريب القرآن

رجاله ومناهجهم

من ابن عباس إلى أبى حيان

تـأليـــف

أ .د . عبد الحميد السيد طِلِبْ

أستاذ بجامعة الكويت

الكويت ١٩٨٦ م

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديـــــم

الحمد لله رب العالمين : والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وخاتمهم سيدنا محمد رسول الله ، الذي بعث رحمة للعالمين مبشراً ونذيراً ، بلسان عربي مبين ،

وبعد :

فقد وفقني الله ـ سبحانه وتعالى ـ في تحقيق «لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم» عن الصحابي الجليل عبدالله بن عباس رضي الله عنه ، برواية أبي عبيد القاسم بن سلام المتوفي سنة ٢٢٤ هـ بإسناد طويل ينتهي إلى ابن عباس .

ومن خلال تحقيقي لنص الرواية اطّلعت على معظم ما روي عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ من تفسير «غريب القرآن» وربط هذا التفسير بلغات القبائل العربية والأمم المجاورة من جهة ، وبيان العلاقة الوطيدة والصلة الوثيقة بين الغريب في القرآن والشعر العربي الذي هو ديوان العرب ، كما يقول ابن عباس من جهة أخرى .

كما دفعني هذا العمل إلى التفكير الجاد في غريب القرآن ورجاله وكتبهم ومناهجهم على اختلاف أسمائها وطرقها في التأليف ، وتتبعت مصنفات تلك الطائفة من اللغويين والمفسرين عبر القرون ، مبتدئاً من القرن الأول الهجري ومنتهياً بمنتصف القرن الثامن الهجري ، وكان آخر كتاب وقفت عنده هو «لغات القرآن» أو «تحفة الأريب» لأبي حيان ٧٤٥ هـ .

وكان لزاماً عليّ أن أعرِّف برجال الغريب في كل قرن ، وأن أذكر أهم مؤلفاتهم والمؤثرات التي دفعتهم إلى التصنيف في هذا المجال ؛ فإن ذلك سيعين على فهم منهج المؤلف وخصائصه ، وسأتبع هذه الدراسة بدراسة ختامية في فصل أخير ، أقارن فيه بين أنواع كتب الغريب ومناهجها ، يشتمل على :

١ ـ مناهج أصحاب غريب القرآن أو تفسير غريب القرآن .

٢ ـ مناهج كتب معاني القرآن وإعرابه .

٣ ـ مناهج كتب الوجوه والنظائر أو الأشباه والنظائر .

٤ ـ عرض موجز لأهم ظواهر الغريب المشتركة بين المؤلفين .

ومن جهة أخرى أردت أن يكون هذا الكتاب جامعاً ـ بقدر جهدي المتواضع ـ لكل رجال الغريب أو معظمهم ومصنفاتهم وخصائص منهجهم ، وأثرهم في غيرهم وتأثرهم بمن سبقوهم .

ولا أستطيع أن أطلق عليه معجماً ؛ لأنني لم أرتبه حسب حروف المعجم ، وإن كنت رتبته حسب القرون الهجرية ، فهو أشبه بالقاموس أو المعجم من هذه الناحية .

ولست أدَّعي أنني قد استقصيت كل رجال الغريب في هذه القرون الهجرية ، فقد يكون بعضهم خرج عن دائرة بحثي وإمكاني ، وإنما أستطيع أن أقول إنني بذلت غاية جهدي في الوصول إلى كل شخصية أشير إليها بأنها صاحبة غريب أو أنها صنفت في غريب القرآن ، فحاولت بكل ما أوتيت من صبر أن أتعرف على جوانب هذه الشخصية وحياتها ومصنفاتها ، وما بقي من هذه المصنفات وما اندثر منها ، وما حقق منها وما لم يحقق وذكرت ذلك بمراجعه ومصادره .

وكان جلّ همي من كل شخصية أن أتعرف على مصنفها في الغريب : مخطوطه ومطبوعه حقق أم لم يحقق ، لأرى من دراسة خصائص منهجه وظواهر طريقته في التأليف ، ولأوازن بين عمله وعمل غيره ممن سبقوه أو عاصروه أو جاءوا بعده ، وتأثروا به أو لم يتأثروا .

وتبينت من دراستي ـ التي استغرقت أكثر من عامين لإخراج هذا الكتاب ـ أن مصنفات غريب القرآن ، أو تفسير غريب القرآن ، ليست خاصة بهذا الاسم وحده ، فغريب القرآن وتفسيره يشمل كثيراً من المصنفات التي حملت هذا الاسم كما حملت غيره فهناك :

١ ـ غريب القرآن .
٢ ـ تفسير غريب القرآن .
٣ ـ المفردات .
٤ ـ معاني القرآن .
٥ ـ معاني القرآن وإعرابه .
٦ ـ إعراب القرآن .
٧ ـ مشكل القرآن .
٨ ـ مشكل إعراب القرآن .
٩ ـ الأشباه والنظائر في القرآن .
١٠ ـ التصاريف (ما اشتبهت ألفاظه واختلفت معانيه) .
١١ ـ ما اتفق لفظه واختلف معناه .
١٢ ـ علم الوجوه والنظائر .

فكل ذلك يدخل ضمن غريب القرآن وتفسيره ، كما يدخل فيه ما جاء مختلطاً معجمياً بغريب الحديث ، كما هو الحال في كتاب (الغريبين للهروى) .

وتحت هذه الأسماء التي ذكرناها كتب كثيرة لرجال الغريب ، قمت بالتعريف بها وبيان مناهجها ، غطت تلك القرون الثمانية أو كادت .

وقبل الدخول في الحديث عن رجال الغريب ومصنفاتهم ومناهجهم على مدى القرون التي أشرت إليها قدمت لهذا الحديث بالدراسة عن أمرين هامين كان لا بد من التقديم بها وهما :

١ ـ بين غريب اللغة وغريب القرآن .

٢ ـ بين غريب القرآن وغريب الحديث .

وقد أردت بالدراسة الأولى أو الحديث الأول أن أبين الصلة بين غريب اللغة وغريب القرآن ، فاللغة العربية هي لغة القرآن ، وغريبها يمكن أن يتمثل في غريب القرآن ، وما كان ليهيأ لنا الحديث عن غريب القرآن دون أن نعرف غريب اللغة ، وموقف علماء اللغة منه والأسباب التي أدت إليه ؛ لأن ذلك بعينه قد انتقل إلى غريب القرآن الذي صعب فهمه على بعض الناس أو استعصى على بعض العرب ، فاحتاجوا إلى من يشرح لهم ، ويفسر الألفاظ التي ما كانوا يعرفونها أو يستعملونها .

أما الدراسة الثانية فالصلة قوية بين ألفاظ القرآن وألفاظ الحديث ، فهما من معين واحد ، والحديث وألفاظه كثيراً ما يكونان عوناً على فهم القرآن وألفاظه ، وهذا ما حدا ببعض العلماء أن يجمع بين الغريبين : غريب القرآن وغريب الحديث ، فكان لزاماً أن أتعرض لهذا قبل الدخول في دراسة رجال الغريب ومناهجهم .

ولست أدعي أنني وفّيت ، فالكمال لله وحده ، وقد تأتيني فرصة أخرى ـ إذا كان في العمر بقية ـ فأقف على مصنفات أخرى لعلماء آخرين أو لعلماء ذكرتهم ولم أعثر لهم على مصنفات ، لأنها قد اندثرت أو ما زالت مخبأة في زوايا المكتبات الخاصة ، ولا يعرف مالكوها شيئاً عنها ، وربما ظهرت إلى عالم الوجود بعد أن يكون كتابي هذا قد طبع .

كما أنني أرحب بكل نقد ، بل وأتمنى أن يرشدني غيري من أصحاب النظرة الثاقبة الواعية إلى ما تركت في هذا الميدان ، فأعود إليه وأضمه إلى كتابي هذا .

وفي هذه المقدمة القصيرة أراني مديناً لأخواني وأساتذتي الذين حققوا معظم الكتب التي استعنت بها على إنجاز هذا الكتاب ، فلهم أولاً فضل إخراج هذه المخطوطات محققة مضبوطة معلقاً عليها ، كما أعترف لهم بفضلهم وغزير علمهم ، فقد استفدت كثيراً من جهدهم وتعبهم ، وسيظل هذا ديناً في عنقي لهم ، جزاهم الله على عملهم في هذا الميدان القرآني خير الجزاء .

والله ولي التوفيق

المؤلف

أ . د . عبدالحميد السيد طلب

جامعة الكويت/ كلية الآداب

الفصل الأول

١. بين غريب اللغة وغريب القرآن

٢. بين غريب القرآن وغريب الحديث

١ ـ بين غريب اللغة وغريب القرآن

الغريب في اللغة كالغريب في القرآن الكريم ، وهو ما يجد الإنسان معاناة أو صعوبة في فهمه ، ويحتاج إلى من يفسر له هذا اللفظ ، ويذلل له صعوبته ، وتزول بذلك معاناته .

ومرجع ذلك في اللغة هو أن اللغة التي نقرأها اليوم لم تنشأ ـ كما يظن بعض الناس ـ مستوية اللفظ والفهم موحدة بين العرب جميعاً ، فنحن نعلم أن العرب كانوا يعيشون متفرقين في شبه الجزيرة العربية ، وليسوا على درجة واحدة من الرقي والحضارة والمعارف والثقافات ، ولكلّ بيئته الخاصة بمعارفها ومشاهدها ، كما أن درجة اختلاط العربي بأخيه العربي ، أو بجاره الأجنبي تختلف من شخص إلى آخر ، ومن بيئة إلى أخرى .

واللغة العربية ـ لا شك ـ مرت بمراحل تبعاً لهذا الاختلاف في البيئة ككل اللغات ، وسارت في عدة أطوار حتى وجدناها آخر الأمر على الصورة التي نعرفها الآن .

ولقد ولد هذا الاختلاف في جملته ما أطلق عليه : (المترادفات)[1] ومظهر هذا الترادف ملموس بين القبائل ، فإحداها تستعمل اسماً لشيء معهود عندها ، بينما نجد قبيلة أخرى تستعمل له اسماً آخر ، وهكذا رابعة وخامسة . .الخ ، فقد قالوا : إن العرب أطلقت على العسل ثمانين اسماً ، وعلى السيف خمسين اسماً أو مائة اسم حتى إن كثيراً من العلماء قد اتخذوا المترادفات مادة لتأليفهم اللغوي ، ومن ذلك ما ذكره السيوطي من أن صاحب القاموس قد ألف كتاباً سماه : «الروض المسلوف فيما له اسمان إلى ألوف»[2] .

وهذا الترادف في اللغة هو الذي منحها سعة ، وأعطاها ثروة في الألفاظ وخاصة تلك التي تطلق على أشياء تقع تحت حواس العربي وأمام بصره كالجمل والفرس والسيف ، وكانت هذه السعة من المميزات التي يثيرها المتحمسون للعربية وفضلها[3] .

ومما وسع دائرة الترادف في اللغة ، وكشف عن مكنونه ، وأظهر كثيراً مما كان خافياً منه انتشار الإسلام ، فقد وفد إلى مكة والمدينة جموع كثيرة من أجل الإسلام أو من أجل معرفة حقيقته ، وكانت الوفود من قبائل شتى من أطراف الجزيرة ، ولكل قبيلة معارفها وأسماؤها ومرئياتها في بيئتها ، فاختلطت بغيرها وسمعت وأسمعت وتحدثت ، فَعُلِمَ ما أطلقته على الأشياء من أسماء لم تكن معروفة لدى غيرها ، كما ضَمَّتْ هي إلى معارفها أسماء لأشياء تعرفها وتطلق عليها أسماء أخرى ، فزوَّد ذلك ميدان الترادف بأكثر مما فعلت الأسواق الأدبية في الجاهلية ورحلات الشتاء والصيف ، والتنقل للمرعى وطلب الكلأ وطلب الجوار والمصاهرة بين القبائل ، وحروب الجاهلية ، وما فيها من غلبة وأسرى ومفاوضات وصلح وديات .

(١) لقد عرف الإمام فخر الدين المترادف بقوله : هو الألفاظ الدالة على شيء واحد باعتبار واحد (انظر المزهر للسيوطي ١/ ٤٠٢) .
(٢) المزهر ١/ ٤٠٧ وضحى الاسلام ٢/ ٢٤٥ .
(٣) رواية اللغة للدكتور الشلقاني ٣٢٥ .

وفيما سبق الإسلام من اختلاط ، أو جاء معه وبعد ظهوره من وفود واستطلاع كانت اللغة هي المحكّ بين المتحدثين ، فأفرز ذلك الكثير من مفردات اللغة الداخل تحت اسم المترادفات ، ولا أدل على هذا مما ذكرته الروايات من أن أبا هريرة لما قدم من (دوس) عام خيبر لقي النبي ﷺ ، وقد حدث أن وقعت السكين من الرسول فقال لأبي هريرة : ناولني السكين ، فالتفت أبو هريرة يمنة ويسرة ولم يفهم المراد من قول الرسول ، فكرر له القول ثانية وثالثة ، وهو يفعل كذلك ، ثم قال : «المدية تريد؟» وأشار إليها ، فقيل له : نعم ، فقال : «أو تُسَمَّىٰ عندكم سكّينًا؟» ثم قال : «والله لم أكن سمعتها إلا يومئذ»[1] فالمترادفات هنا (المدية والسكين) جاءت عن طَريق الوضع في اللغة عند كل قبيلة وليسَ بينهما تباين .

آراء علماء اللغة في الترادف

وقف علماء اللغة أمام المترادفات موقفين متباينين تمامًا ، ففريق : قال به بل وأقام الحجة على وجوده ومظهره ، وفريق أنكره ، وقال : إنه لا يوجد ترادف في اللغة .

علماء مؤيدون لظاهرة الترادف :

ومن الذين قالوا بالترادف وأكدوا وجوده العالم اللغوي الكبير (قُطْرُب) الذي اعترف به وذكر بعضًا من أسبابه حيث يقول :

«إنما أوقعت العرب اللفظين على المعنى الواحد ليدلوا على اتساعهم في الكلام»[2] ، ومنهم التاج السبكي حيث يقول في شرح المنهاج :

«ذهب بعض الناس إلى إنكار المترادف في اللغة العربية ، وزَعم أن كل ما يُظَنّ من المترادفات فهو من المتباينات التي تتباين بالصفات كما في (الإنسان والبشر) فإن الأول موضوع له باعتبار (النّسيان) ، أو باعتبار أنه (يؤنس) ، والثاني باعتبار أنه بادي (البشرة) ، وكذا الخندريس والعُقَار ، فإن الأول باعتبار (العتق) ، والثاني باعتبار (عقر) الدَّنّ لشدتها .

وتكلف لأكثر المترادفات يمثل هذا المقال العجيب»[3] .

ومن المؤيدين للقول بوجود المترادفات تبعًا للغات القبائل (ابن جنّى) حيث يقول :

(١) انظر النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٢/ ٣٨٦ تحقيق الاستاذ الطناحي وانظر رواية اللغة للدكتور الشلقاني ٣٢٧هـ .
(٢) الأضداد : لابن الأنباري ٧ .
(٣) المزهر ١/ ٤٠٣ .